الأبعاد الدلاليّة للخطاب الندائيّ في سورة يوسف
– دراسة في ضوء نظريّة الأفعال الكلاميّة–

د. فخرية غريب قادر
مدرسة في قسم اللغة العربية– كليّة اللغات –
جامعة صلاح الدين –أربيل
Fakhriy.Qadir@su.edu.krd

(مُلَخَّصُ البَحث)

تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ (الأبعاد الدلاليّة للخطاب الندائيّ في سورة يوسف في القرآن الكريم – دراسة في ضوء نظريّة الأفعال الكلاميّة) الكشف عن الأبعاد الدلاليّة للخطاب القرآني الوارد في قصة يوسف في القرآن الكريم ورصْد مقاصده ، وإلقاء الضوء على دلالاته الصريحة والخفية، المباشرة وغير المباشرة ، أي على ما ينجزه من أفعال كلاميّة وعلى وفق نظرية الأفعال الكلامية ومعطياتها ، وتشقُّ الدراسة طريقها إلى ذلك عبر ثلاثة محاور رئيسة معنونة على هذا النحو:

المحور الأول: التأسيس البنائيّ والتنظيريّ لنظرية الأفعال الكلامية

المحور الثاني: الخطاب الندائيّ ركائزه وإنجازاته وقواه الفعليّة

المحور الثالث: الخطاب الندائيّ في سورة يوسف دلالاته وإنجازاته الفعليّة

وتنهي الدراسة مشوارها بخاتمة موجزَة مودَع فيها أبرز الاستنتاجات ومسرد بأسماء الكتب والمراجع المعوَّل عليهما في إنجاز عملها.

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أمَّا بعد : فقد بات معروفاً أنّ النهج التداوليّ القائم على دراسة الحدث اللغوي في ضوء الموقف التواصليّ وعلى بيان السبل الكفيلة لضمان التواصل السليم يضم مجموعة من المفاهيم والمبادئ ، ومن بين تلك المفاهيم يتبوء مفهوم الأفعال الكلامية منزلة كبرى فيه، لدرجة أنَّه غدا نظرية قائمة بذاتها بعد أن اجتاز مراحل من التطوّر وغدا نواة لنظريّات تداوليّة أخرى، وتكمن أهمية نظريّة الأفعال الكلاميّة في تأكيدها أنّ للنسق التواصلي دلالة حرفية مباشرة، وله في الآن ذاته دلالات سياقية غير مباشرة ، أي إنَّه ينجز أفعالا كلاميّة مباشرة وأفعالا كلاميّة غير مباشرة، ومن هنا انبثق فكرة هذه الدراسة التي أخذت على عاتقها

رصد الأبعاد الدلاليّة للخطاب الندائي في سورة يوسف في ضوء نظرية الأفعال الكلامية وبيان ما ينجزه من أفعال كلامية ، وذلك من خلال منهج خاص وخطة ذات ثلاثة محاور معنونة وموزّعة على هذا النحو:

المحور الأول : التأسيس البنائيّ والتنظيريّ لنظرية الأفعال الكلامية

المحور الثاني: الخطاب الندائيّ ركائزه وإنجازاته وقواه الفعليّة

المحور الثالث: الخطاب الندائيّ في سورة يوسف دلالاته وإنجازاته الفعليّة.

الكلمات المفاتيح: سورة يوسف، الدلالة، الأفعال الكلامية.

المحور الأول : التأسيس البنائيّ والتنظيريّ لنظرية الأفعال الكلامية

نظرية الأفعال الكلامية هي نظرية متمخضة عن المنهج الفلسفي والتيار التداولي، أسّسها وأرسى دعائمها الفيلسوف جون لانجشو أوستين من خلال سلسلة من المحاضرات ألقاها في جامعة هارفارد على تلامذته بعنوان(كيف نصنع الأشياء بالكلمات) (كانت عبارة عن اثنتي عشر محاضرة ألقاها عام ١٩٥٥ على تلامذته في جامعة هارفارد، وبعد وفاته جمعها تلامذته ونشروها في كتاب بعنوان (How to do thing with words)عام ١٩٦٢، وقد ترجمه إلى العربية عبدالقادر قينيني بعنوان أوستين نظرية أفعال الكلام العامة – كيف ننجز الأشياء بالكلام) ، منطلقاً من مبدأ أنّ وظيفة اللغة ليست مقتصرة على إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار فقط، وإنّمَا هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية (عبدالسلام، ٢٠١٤، ص: ١٠٧)، فمبنى هذه النظرية إجمالاً على(أنّ الجمل اللغوية لا تنقل مضامين مجرّدة وإنما تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات المتنوعة) (عبدالرحمن،٢٠٠٦، ص:٢٦٠) .

ويرى أوستين أنّ الفعل الكلامي الكامل (Act discours integral) مكوّن من ثلاثة أفعال فرعية لا تعرف القطيعة ولا تقبل الانفصال هي :

أولاً : الفعل الكلامي أو فعل القول أو العبارة : Locutionary act) ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات نظام نحوي سليم وذات دلالة ،أي ذات صوت محدد وتركيب مخصوص ودلالة معينة (موشلر،ج ، ريبول ،٢٠١٠،ص:٦٤ ؛ و عبدالرحمن،٢٠٠٦،ص:٢٦٠؛ و صحراوي، ٢٠١٥،ص:٣١)، هي الدلالة الحرفية. فبنية الفعل الكلامي مكوَّنة من: فعْل صوتيّ قائم على إنتاج الأصوات، وفعْل تركيبيٍّ قائم على إخضاع الأصوات لنظام نحوي معين ، وفعْل دلالي يعمل على ربط الأصوات بالدلالة (بلانشيه،٢٠٠٧،ص: ٥٩؛ و صحراوي، ٢٠١٥،ص: ٤٢).

ثانياً : الفعل التكلّمي أو الفعل المتضمن في القول، أو قوة فعل الكلام، أو القوى الإنجازية أو اللاعبارة أو الفعل اللاقولي، أو الفعل الغرضيّ، (illocutionarya act) وهو الفعل الإنجازي الذي يُعدُّ لبّ نظرية الأفعال الكلامية وجوهرها وقطب رحاها (دايك،١٩٨١، ص:٢٦٣؛(بلانشيه،٢٠٠٧،ص: ٥٩ ؛ وبوخشة،د.ت ،ص:٢٥) ، ويُقصَد به أنّ المتكلم حين ينطق بقول ما فإنه ينجز فعلا قصدياً (الصرّاف،٢٠١٠،ص: ٤٢)، كالأمر، الوعد ، الوعيد، الاستفهام . وفي هذا الفعل المنجز ناوٍ غرضُ المتكلِّم ومقصده.

ثالثاً: الفعل التكليميّ أو الفعل التأثيريّ أو لازم فعل الكلام أو أثر العبارة أو الفعل الناتج عن القول (perlocutionary act)

هو الآثار الناتجة عن فعْل الكلام وقوته الإنجازيّة الفعليّة، تتعلق بردود أفعال المتلقي كالتخويف والإقناع، الإغضاب والتضليل، والإرشاد، والتثبيط..، فالمتكلم قد ينجز بكلامه فعلا ثالثاً، هو التسبب في نشوء آثار في مشاعر السامع وفكره وسلوكه وتصرفاته مثل ٌ: إقناعه أو إغضابه أو تشجيعه ودفعه ، أو تهديده وتحذيره ، أو تفريج همومه وانبساط أساريره وبعث الإحساس لديه بالفرح والأمل، وذلك الفعل التأثيري ليس شرطاً أن يتحقق في الفعل الكلامي، ولكنه فعْل يطمح إليه المتكلم (أوستين،١٩٩١،ص: ١٢٣؛ والشهريّ،٢٠٠٤، ص:١٥٨-١٥٩ ، (فلازم فعْل الكلام لا يلازم الأفعال جميعاً، فمنها مالا تأثير له في السامع والمخاطب) (مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية الكفوحي ،٢٠١٦،ص: ١٧٤٣) . فبواسطة المحاججة قد يحمل المتكلم شخصاً على الاعتقاد بالشيء أو إقناعه، وعبر تحذيره قد يخيفه أو قد يفزعه ، ومن خلال طلب شيء منه قد يحمله على فعل ذلك الشيء، وبإعلامه بأمر قد يقنعه ، وينير فكره ويثقفه، ويجعله مدركاً . (سورل ،ج، ٢٠١٥،ص:٥٢)

ويمكن توضيح الفعل الكلامي الكامل بعبارة :(ليس للظلم دوام) فالعبارة ظاهرها إخبار، فهي فعْل كلاميّ قد ينجز بها المتكلم أفعالاً كلاميّة عديدة وبحسب السياقات والمقامات، فقد تكون مواساة للمظلوم أو نصحاً للظالم أو تذكيراً أو تهديداً للظالم أو بشارة بهلاك الظالم، أما الفعل التأثيري فيكمن في الآثار المترتبة لهذا الفعل الكلامي ومدى تأثُّر السامع بالكلام واقتناعه وردة فعله والسلوك الذي يصدر منه، من الإقناع ، أو التثبيت، أو إحداث ارعواء للظالم.

التصنيف الأوستيني للأفعال الكلاميّة : انطلاقاً من وجود أفعال كلاميّة مباشرة ذات دلالات حرفيّة، وأفعال دلاليّة غير مباشرة ء (تلميحيّة) ذات دلالات سياقيّة متعددة محددة من السياق فقد طرح أوستين تصنيفاً للأفعال الكلاميّة مكوَّناً من خمس فصائل هي :

١. أفعال تدلّ على الحكم أو الحكميّات والقرارات التشريعيّة (Verdictives) ، هدفها إصدار الأحكام مثلما يفعل القاضي في المحكمة أو من محكم تختاره الأطراف أو حكَم المبارات في الملعب وليس من الضروري أن تكون هذه الأحكام نهائيّة؛ لأنّ الحُكم قد يكون تقديرياً أو على صورة رأي أو تقييماً (أوستين،١٩٩١، ص:١٧٤؛ والشهري،٢٠٠٤، ص:١٥٦؛ والصرّاف،٢٠١٠، ص: ٤٥؛ و صلاح الدين ،٢٠٠٩، ص:٣٦٣)، مثل التبرءة والإدانة ، والتصنيف ، والوصف ، والتشخيص، والإحصاء، والتوقع (بوخشة،د.ت، ص:٢٦).

٢. أفعال القرارات التي تدلّ على الممارسات أو التنفيذيّات أو أفعال الممارسات التشريعيّة (Exercitives) أي ممارسة سلطة تشريعيّة، فهي أفعال معبِّرة عن تنفيذ القرارات، كالتعيين والطرد، والفصل، والاتهام والعزل، وإصدار المذكرات التفسيريّة وإعطاء التوجيهات، وتندرج ضمن الصنف الأول (أوستين،١٩٩١، ص:١٧٤).

٣. أفعال تدلّ على الالتزامات، وتسمّى كذلك الوعديّات (comnissives) (صلاح الدين ،٢٠٠٩، ص:٣٦٧)، والتعهديّات أو أفعال التكليف: وهي الضمان والتعهُّد، ، ما يقطعه المتكلم على نفسه من عهود ويكون ملزَماً بالإبراء بها وإنجازها، مثل الوعد، والقسم، والضمان، والتأييد، إعطاء الكلمة ، والخطبة قبل الزواج (الشهري،٢٠٠٤،ص:١٧٤؛ بوخشة،د.ت، ص:٢٦)

٤. أفعال تدلّ السلوك وتُسمّى بالسلوكيّات(Behabitives): الهدف منها إبداء سلوك معين مثل الشكر، والاعتذار وتقديم التهاني والتعازي، والشجب والنقد، والتصفيق والترحيب والكره والتحريض، والقسم، أنواع السباب، والقذف، والتحدي (أوستين،١٩٩١، ص:١٧٤، موشلر وربيول،٢٠١٠،ص: ٦٧).

٥. أفعال تدلّ على العرض والإيضاح أو العرضيّات والإيضاحيّات أو التبينيّات(Excpositives) وتسمى أيضاً المعروضات الموصوفة- التفسيريّة- وبيان وجهات النظر، وغايتها النقاش، والحجاج والتبرير، والافتراض، الاقتراح (أوستين،١٩٩١، ص:١٧٥) . وهي أعمال تختصّ بالعرض، مثل التأكيد، والنفي ، والوصف والإصلاح والذكر والمحاجّة والقول والتأويل ، والشهادة، والنقل ، والتوضيح ، والتفسير ، والتدليل والإحالة (بلانشيه، ٢٠٠٧، ص:٦٢)فإجمالاً ينماز الفعل التكلُّمي بعدة مزايا وخصائص منها: أنَّه فعل تواصليّ اتفاقيّ إنجازيّ، تأثيريّ.

<u>جهود جون . ر سيرل في نظريّة الأفعال الكلاميّة</u>

بدأت مرحلة التنظير المبرمَج والمنهجيّ لنظريّة الأفعال الكلاميّة على يد(جون. أ. سيرل) الذي يعدّ من أشدّ تلامذة أوستين إيماناً بجدوى نظريته، فبعد وفاة أوستين تبنّاها

وتعهدها بالرعاية وأولاها جُلَّ اهتمامه، وأصبح الداعي إليها وراعيها الرسمي وأوصلها إلى مرحلة النضج والاكتمال، وبفضل جهوده والتعديلات التي أحدثها على النظريّة الأوستيّنة للأفعال الكلاميّة تقسيماً وتصنيفاً تحددت ملامح النظريّة أكثر واتضحت معالمها، فمما يُسجّل لسيرل أنه صحّح مسار النظريّة وأطّرها تأطيراً منهجيّاً.

ومن ضمن إنجازاته تعديلُ التقسيم الذي قدّمه أوستين للأفعال الكلاميّة والمكوّن من ثلاثيّة (الفعل الكلامي + الفعل الإنجازيّ + الفعل التأثيريّ في القول) وأضاف إلى فروع الفعل الكلامي المكوّن من الفعل الصوتي والفعل التركيبي والفعل الدلالي فعلاً رابعاً هو الفعل القضويّ(Propositional act)، ويشمل المتحدَّث عنه أو المرجع (Reference) وهو محور الحديث، والمتحدَّث به أو الخبر(Predication)، الذي يتمثل في ما يُسنَدُ إلى المرجع ، وهما معاً يمثِّلان فعْلاً قضوياً ، ونصَّاً مؤكداً أنّ الفعل القضويّ لا يقع وحده، بل يُستعمل دائماً في فعل إنجازيّ في كلام مركّب؛لأنّنا لا نستطيع النطق بفعل قضويّ من دون أن يكون لنا غرض ومقصد من نطقه (سيرل ،٢٠١٥،ص:٤٣،٥٣؛ و دايك،١٩٨١، ص: ٢٦٣). ولتوضيحها يمكن التمثيل بهذه التراكيب اللغويّة التي مرجعها واحد وأخبارها واحدة، ولكلّ منها إنجازاتها الفعليّة وأفعال قضويّة إنجازيّة مختلفة.

(اشترى محمد سيّارة جديدة. يا محمد اشترِ سيّارة جديدة. هل اشترى محمد سيّارة جديدة؟ ليت محمد يشترى سيّارة جديدة. عسى أن يشتري محمد سيّارة جديدة. ما أجمل السيّارة التي اشتراها محمد) فالفعل القضويّ في الجمل الستة متمثّل في: مرجع واحد ، هو(محمد) محور الحديث فيها جميعاً، وخبر واحد يُسنَد إلى المرجع فيها جميعاً هو: شراء السيارة. والقضيّة هي المحتوى المشترك بينها جميعاً، فالفعل القضويّ الإنجازيّ في الجملة الأولى، إخبار، وفي الثانية طلَب وتوجيه، وفي الثالثة استخبار–استفهام – ، وفي الرابعة تمنٍ، وفي الخامسة ترجٍ ودعاء، وفي السادسة تعجّب.

فالإنجازات القضويّة تعبِّر عن قضيّة وتتضمّن عمليّة إسناد خبر إلى مرجع ، وهي استخلاص القوة (الغرض) عن القضيّة بتحديد المعنى الإسنادي الحرفي، أمَّا الفعل التأثيريّ عند سيرل فعلى الرغم من نصّه عليه إلاَّ أنَّه ليست له أهميّة كبيرة عنده، لأنه ليس من الضروري أن يكون لكلِّ فعلٍ تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما (الصرّاف،٢٠١٠، ص:٥٥).

<u>التصنيف السيرليّ للأفعال الكلاميّة:</u>

لم يقتنع سيرل بالتصنيف الذي طرحه أوستين للأفعال الكلاميّة، فقدّم تصنيفاً جديداً ملغياً أغلب الأفعال الكلاميّة المنجزة فيه ، مبقياً على بعض منها متبنّياً هدف الخطاب مفهوماً محوريّاً لتصنيف استعمالات اللغة، فيرى أنه يوجد عدد من الأشياء الأساسيّة التي

نفعلها باللغة، إذ أننا نخبر الناس عن كيفيّة الأشياء، ونحاول التأثير عليهم لفعل أشياء معينة، ونلزم أنفسنا بفعل أشياء، ونعبر عن مشاعرنا ومواقفنا، ونحدث تغييرات معينة بملفوظاتنا ، وغالباً ما نفعل أكثر من واحد من هذه الأشياء بتلفظ واحد (الشهري،٢٠٠٤،ص: ١٥٨؛ والصرّاف،٢٠١٠، ص:٦٢) ونلمح في كلامه هذا تصنيفاً خُماسياً للأفعال الكلاميّة اللا قوليّة المنجزة، وهو على النحو الآتي:

١. الأفعال التأكيديّة أو التقريريّة أو الإخباريّات (Assertives) : الغرض منها نقْل – وصْف –المتكلم لواقعة ما (نحلة،٢٠٠٢،ص:٤٩) ، بدرجات متنوعة، وإثباتها والتأكيد أنها واقعة حقيقيّة والتعهُّد بصدقها أي (يلتزم بصدق القضيّة المعبّر عنها أنه الهدف المتضمن في القول) (موشلر ، ويبول،٢٠١٠، ص:٧٦)، مثل قولنا :إنّ الحقّ منتصر، والله إنّ الحق منتص، لا ريب أنّ الحقَّ منتصر، هذا النمط تُسمَّى كذلك التمثيليّات (موشلر ، ويبول،٢٠١٠، ص:٧٦)، والممثلات (يول، ٢٠١٠، ص:٨٩).
٢. الأفعال التوجيهيّة أو التوجيهيّات أو الطلبيّات (Directives) : هي أنواع أفعْال الكلام التي يستعملها المتكلِّمون لتوجيه المخاطب لفعْل شيء ما أو التأثير عليه ليفعل شيئاً ما ، وتتخذ أشكال أوامر ونواه، وتعليمات ومقترحات (يول، ٢٠١٠، ص:٨٩)..
٣. الأفعال الالتزاميّة أو الوعديّات (Commissives) غرضها الإنجازي وغايتها التزام المرسِل أو المخاطِب بدرجات متنوعة بأفعال في المستقبل، وهذه الأفعال قائمة على مبدأ صدق النيّة ، وهي وعود ووصايا وتهديدات وتعهّدات (نحلة،٢٠٠٢، ص: ٥٠).
٤. الإفصاحيّات أو التعبيريّات أو البوحيّات : وغايتها التعبير عن الحالات النفسيّة والانفعاليّة للإنسان ، وشرط نجاحها عقد النيّة والصدق في محتوى الخطاب (الشهري،٢٠٠٤، ص: ١٥٨). وهذا يوافق إجمالاً السلوكيّات في تصنيف أوستين (بلانشيه،٢٠٠٧، ص:٦٦).
٥. الأفعال التصريحيّة أو التصريحيّات أو الإعلانيّات (نحلة،٢٠٠٢،ص:٥٠) أو الإدلاءات (بوخشة،د.ت، ص:٢٨) أو الإيقاعيّات (Declarations) تنماز بأنّ هدفها مزدوج، لرومها إلى إحداث تغيير في العالم الخارجي، أي: جعل العالم يطابق الخطاب والخطاب مطابق للعالم (الشهري،٢٠٠٤، ص:١٥٨؛ والصرّاف،٢٠١٠، ص:٦٣)، بموجبها يتوجّب على المتكلم تسنُّم دور مؤسساتي في سياق معين لإنجاز الإعلان بصورة صحيحة (يول، ٢٠١٠، ص: ٨٩)، وهذا الصنف جامع بين أفعال الحكم – الحُكميّات – وأفعال القرارات التي وردت في تصنيف أوستين، جمعهما سيرل في صنف

واحد، أطلق عليها تسمية الإعلانيّات أو الإفصاحيّات (الصرّاف، ٢٠١٠، ص:٦٣). مثل قولنا : أعلنُ ، أُصرح.

فالمخاطب يوجّه خطابه الذي أودع فيه مقاصده إلى المخاطب على وفق ما هو معهود ومتعارف عليه من النظام اللغوي وعلى الافتراض المسبَق أنّ خطابه يصل إلى السامع على النحو الذي يريده، والذي يعين على تحديد المقصد من القول وغرضه وعلى تحديد الأفعال المتضمّنة في القول هو الرجوع إلى السياق بنوعيه اللغوي والموقفي. فمعرفة سياق الخطاب ومقامته مطلب ضروري يرتكن إليه شريكا عمليّة التخاطب للظفر بالمقاصد الكلاميّة ومعرفة مقاصد الخطاب المباشر والخطاب غير المباشر أي التلميحي المبثوث فيه مقاصد المخاطب بطريق ضمنيّة، كما يُشترط انطواء الخطاب على مجموعة مبادئ تضمن إنجاح عمليّة التواصل وإنجاز الأفعال الكلاميّة بالصورة الصحيحة أكّد عليها غرايس في جملة من القواعد التخاطبيّة التي تضمن نجاح عمليّة التواصل ،هي قواعد التخاطب، وقد بلور غرايس مبدأ التعاون (المبدأ الذي يرتكز إليه المرسل للتعبير عن قصده مع ضمانه قدرة المرسل إليه على تأويله وفهمه) (الشهريّ، ٢٠٠٤، ص: ٩٦)، وثمة مبادئ تخاطبيّة كثيرة تسهم في إنجاز الأفعال الكلاميّة إنجازاً سليماً منها مبدأ الوضوح ومبدأ التأدُّب الراميّ إلى تهذيب الخطاب والذي يرتكن إلى ثلاث قواعد لا غنى للخطاب التأثريّ النفعيّ عنها وهي: قاعد التعفُّف التي تنصّ على عدم التطفّل وعدم فرض النفس على المرسل إليه، أي البقاء متحفظاً، وقاعدة التخيير التي تنصّ على ترك الخيار للمرسل إليه وجعله يتخذ قراراته بنفسه، وقاعدة التودد التي تؤكد على إظهار الودّ للمخاطب (الشهريّ، ٢٠٠٤، ص:٩٩-١٠٠) . وقواعد واستراتيجيّات خطابيّة أخرى أضافها لاحِقوا أوستين وسيرل ومعاصروهما بعد أن قطعت نظريّة الأفعال الكلاميّة أشواطاً من التطوّر وغدت نظريّة قائمة بذاتها لها أصولها ومرتكزاتها وأصبحت النواة المركزيّة للدرس التداولي وبامتياز.

المحور الثاني : الخطاب الندائيّ ركائزه وإنجازاته وقواه الفعليّة

تحرير مصطلحي الخطاب والنداء

أولاً : الخطاب

بات من مسلم به بداهة أنّ الخطاب هو وحدة تواصليّة إبلاغيّة ناتجة عن مخاطِب معين إلى مخاطَب معين في سياق معين، فهو (كلّ تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما) (الشهريّ، ٢٠٠٤، ص: ٣٧)، أو بالأحرى (شكْل من أشكال التأثير على الآخر، وفِعْلٌ يهدف إلى تغيير وضع معين) (مجلة العلامات، ربيعة العربي، ٢٠١٠، ص: ٤٠). لكونه (عبارة عما نعبر عنه بلغة القول أو

الفعل أو بصورة مباشرة –الخطاب المباشر– أو غير مباشرة –الخطاب غير المباشر–) (الحميريّ: ٢٠٠٩، ١٢).

وهو في معناه الواسع يُطلَق على كلّ نسق تواصليّ تفاعليّ ، منطوٍ على مقصديّة، وهدف مفتوح على أسيقة وعوالم، حامل لرسالة، ذو بداية ونهاية، متسق في شكله، منسجم في أفكاره، له تقنيّات تضمن له ولعمليّة التواصل الصيرورة والسيروة، منطوٍ على مقومات ذاتيّة موجودة في الخطاب ومقومات موجودة في كلّ من شريكي عمليّة التواصل–المخاطِب، المخاطَب–، ومقومات موجودة في المواقف التي تغذّي عمليّة التواصل، وتحرّكها وتنمّيها، وتُوجِه مسارَ الخطاب الوجهة اللائقة به والمرادة له (قادر،٢٠١٦، ص:٢٤) .

ثانياً: النداء

ينتمي النداء إلى فصيلة الأساليب الإنشائيّة، إذ يشكّل مع كلّ من الأمر والنهي والاستفهام والتمنّي خماسيّة طلبيّة مستدعية (مطلوباً غير حاصل وقت الطلب) (مطلوب،١٩٨٧، ج، ص: ٧٠)، فوظيفته تكمن في دعوة المنادِي المنادَى للإقبال عليه وللإصغاء والإجابة لأمر ما وقع النداء له.

جاء في المعجم المفصّل في علوم البلاغة :(هو طلب الإقبال بالحرف (يا) وإخوته ، وهذا الإقبال قد يكون حقيقياً أو مجازياً مثل يابنيّ اسمع نصيحة أهل العلم والمعرفة، أو توجيه الدعوة إلى المخاطب وتنبيهه للإصغاء وسماع ما يريد المتكلم) (عكّاوي ،١٩٩٦، ص:٦٦٣)، فوظيفته الأساسيّة (تنبيه المنادى وحمله على الالتفات وتؤدي الوظيفة أدوات تتناسب مع قرب المنادي وبعده عن المنادى) (المخزومي ،٢٠٠٥، ص: ٣٢٥) ويكون بأحد أدوات النداء الثمانية: (الهمزة وأي) المختصتين بنداء القريب، و(يا)المختصة بالنداء عموماً والتي تأتي في الغالب لنداء البعيد، (وآ، أيُّ، هيا، و، وا) المختصات بنداء البعيد (هارون،٢٠٠١، ص: ١٣٦)، وهذه الأدوات قد تكون ملفوظة مذكورة في الكلام أو قد تكون ملحوظة مضمرة مقدَّرة يهدي إليها السياق ويرشد (مطلوب، ١٩٨٧، ج٣، ص:٣٢٧؛ وعاكوب والشتيويّ،١٩٩٣ ، ص: ٢٩٠)، كما أنّ بعضها تنوب مناب بعضها إثر تنويع المنادِي في التعبير من باب إنزال القريب منزلة البعيد وإنزال البعيد منزلة القريب، هذه الأمور التي تكشف عن الكثير من الأحوال المقاميّة.

فللنداء وظائف لغويّة وسمات أسلوبيّة وملامح مميزة ، فهو طلبٌ واستحضار يُراد به إقبال المدعو على الداعي ليتمكّن من توجيه ما يريد إليه بحرف نائب مناب أدعو، ويصحب ذلك أمر أو نهي أو استفهام وقد تصحبها الجملة الخبريّة (ميلاد،٢٠٠١، ص:١٦٤)، فتعقبها جملة أمرٍ، وفيه إقامة علاقة مع الآخر، إما للحوار، وإما لأغراض أخرى تُفهَم من السياق ، كما أنّ فيه حثّاً على الاهتمام بموضوع الكلام والدعوة إلى التبصُّر

به، وتوجيه الأنظار إلى المنادى وتركيز الاهتمام عليه، فضلاً عن وجود ضرْب من الإيجاز والاختصار للكثير من الكلام فيه (خلف،٢٠٠٢، ص:٢٠٠).

أي أنّ النداء إمَّا أن(يفيد تخصيص المخاطب بالكلام الذي يأتي بعد التنبيه لجعله معنيّاً به من دون غيره ، وإما أن يفيد توكيد المخاطب في حال كون المخاطب يعلم أنه المعنيّ بالكلام، ولكن في ندائه زيادة توكيد وتنبيه وإثارة، وربّما كان ذلك رغبة من المتكلم في إقناع المخاطَب بما سيُعلمه من كلام) (ميلاد،٢٠٠١، ص:١٦٣) .

وعلى هذا؛ فإنّ النداء (فعل لغويّ شأنه شأن الأفعال اللغويّة، كالإخبار والاستفهام والأمر والوعد والوعيد... يحدد جهة الجملة) (المتوكّل، ١٩٨٥، ص:١٦١). وعند رصد وظيفة النداء كأسلوب طلبيّ في كتب البلاغيين نلمح دلالة مباشرة لها، هي: طلب الإجابة، وكذلك نلمح دلالات ومقاصد أخرى حينما يخرج عن طور وظيفته الأصليّة إلى دلالات سياقيّة يحددها سياقات الكلام ومقاماته، كأن يكون مطمورة فيه مقاصد وأغراض بلاغيّة : مثل التخصيص، والتنبيه، والتحبُّب، والتودُّد، والتحسُّر، والإغراء، والاستغاثة، والتعجّب، والندم، والتأسُّف، والتفجُّع، والتضجُّر، والزجر واللوم، والرجاء (مطلوب،١٩٨٧، ج ٣ ، ص:٣٢٧؛ والفيل ،١٩٩١، ص:٢١٧؛ والميداني ،١٩٩٦، ج١، ص:٢٤١-٢٤٣) وغيرها من الدلالات التي يقتنصها متلقي الخطاب من الخطاب الندائي بفضل كفاءاته اللغويّة وقدرته التأوليّة وبمؤازرة السياق ومعونة قرائنها الهادية المرشدة والصارفة المانعة.

وإذا أردنا دراسة وظيفة النداء في ضوء معطيّات الدرس التداولي ونظريّة الأفعال الكلاميّة ومبادئها، فإنّ الخطاب الندائيّ فعْل لغويّ قولي ينجز دلالة حرفيّة مباشرة هي (التصويت بالمنادى ليقبل أو طلب إقبال المدعو إلى الداعي) (مطلوب،١٩٨٧، ج ٣ ، ص:٣٢)، كما يُنجز أفعالاً كلاميّة غير مباشرة ويتضمّن قوى فعليّة لا قوليّة عديدة، هي تلك الأغراض والمقاصد التي ذكرها البلاغيون في طيّ مصنّفاتهم البلاغيّة من تخصيص وتنبيه، وتحسُّر، وتودُّد وتحبُّب و... (فهذه المعاني والإفادات أفعال كلاميّة ترمي إلى صناعة أفعال أو مواقف اجتماعيّة ...أي ترمي إلى التأثير في المخاطب وحمله على فعْل أو ترك فعل أو تقرير حكم من الأحكام ...)(صحراويّ،٢٠١٥، ص:٢١٧).

كما أنّ الخطاب الندائي قد يُظهر إلى جانب دلالته الحرفيّة-إنجازه الحرفيّ المباشر- ودلالاته السياقيّة - أفعاله الكلاميّة المنجزة - الكثيرَ من الأبعاد النفسيّة والعاطفيّة والفكريّة لطرفيِّ الخطاب والموقف المحتضن للخطاب والدائرة فيه العمليّة التخاطبيّة الندائيّة برمتها . وعلى هذا فالنداء في جوهره وعمقه فعل توجيهيّ بامتياز، أي ينتمي إلى صنف الأفعال التوجيهيّة، وقد يتلوّن بألوان السياقات المتعددة، فينتمي إلى صنف الأفعال التصريحيّة والإفصاحيّة الموجودتين في تصنيف جون سيرل.

وثمة مسلمة وحقيقة قارة ينبغي الإشارة إليها وهي أنّ عند استنطاقنا الخطاب الندائي ورصد إنجازاته القوليّة واللا قوليّة – المباشرة وغير المباشرة ، الحرفيّة والغرضيّة – الكلاميّة والفعليّة –في ضوء الخطاب التام والخطاب الناقص، فإنّ التحليل يظلّ قاصراَ والفهم ناقصاً والمعنى مبتوراً غير مكتمل ما لم ندرج في الخطاب الندائي أربعة عناصر هي : المنادِي ، أداة النداء، المنادَى، والغاية التي وقع النداء لإجلها ونأخذ في الحسبان أنَّها بنية خطابيّة واحدة، وبعبارة أوضح ما لم نذكر مع التركيب الندائيّ ما يرافقه من التراكيب اللغويّة التي توضِّح المدعو إليه . فعادة تأتي برفقة التراكيب الندائيّة تراكيب إنشائيّة طلبيّة أو تراكيب إخباريّة تقريريّة يعقبها طلب أو العكس. وبذلك يندرج الخطاب الندائي ضمن الخطاب الناقص ما لم نرصد الأفعال الكلاميّة وإنجازاتها ، ونتعامل معها كبنية لغويّة واحدة وكلّ متكامل، فالخطاب يكون تاماً مكتملاً ذا معنى مستقيم إن حسبنا لعناصر النداء كاملة مع بعض حساباً، وأعرنا الاهتمام لجميعها من دون التغاضي عن المدعو إليه، أي التراكيب الواردة في طيّ التركيب الندائي، التي هي حتماً لها وظائفها ودلالاتها الخاصة وإنجازاتها الفعليّة، كلّ ذلك بهدف الظفر بدلالة الخطاب الندائي وإماطة اللثام عن مقاصده وبيان ما ينجزه من أفعال كلاميّة.

وما ينبغي الإشارة إليه أنّ هذه الدراسة ارتأت استعمال مصطلح الخطاب الندائي وآثرته على التركيب الندائي؛ لأنّ التركيب الندائي يقتصر فقط على المنادي وأداة النداء والمنادى في حين يتسع الخطاب الندائي ليشمل إلى جانب التركيب الندائيّ، التراكيب الطلبيّة والتراكيب الإخباريّة التي تأتي بصحبة التركيب الندائي، التي تبيّن السبب الذي وقع النداء لأجله، وبعبارة أوضح تكون ما يدعو المنادي المنادَى للإقبال عليه والتنبيه له.

المحور الثالث : الخطاب الندائيّ في سورة يوسف دلالاته وإنجازاته الفعليّة

تتماز سورة يوسف من بين سائر السور القرآنيّة بتفردها سرد قصة يوسف عليه السلام، تلك القصة التي لم تذكرها سورة أخرى سواها ، مبناها قائم على السرد والحوار والوصف، نلمح في الحوارات التي وردت في طيّ سرد السورة حضوراً مهيمناً واسعاً للخطاب الندائي، فالسورة من أكثر السور القرآنيّة احتواءاً للخطاب الندائي وتتبوأ المرتبة الثانية بعد سورة البقرة ، فقد احتضنت ثلاثة وعشرين خطاباً ندائيّاً في طيّ الحوارات الدائرة بين شخصيّات القصة. وفيما يأتي بيان لطبيعة الأفعال الإنجازيّة التي ينجزها الخطاب الندائيّ في السورة.

١. **قوله تعالى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)** . تحتضن الآية الكريمة خطاباً ندائيّاً موجَّهاً من يوسف لأبيه ملؤه التوقير والتبجيل لمنزلة الأبوة، فمع أنّ المنادِي والمنادَى قريبان بحكم التقارب المكانيّ

والتقارب العاطفي، إلا أنّ ورود الخطاب بهذا الشكل والاستعانة بـ (يا) الموضوع لنداء البعيد يُظهر حصافة يوسف عليه السلام وشدّة توقيره لأبيه ، فالتعبير ب (ياأبتِ) وتوجُّهه لأبيه من دون غيره لتعبير الرؤيا التي رآها مُظهِر التودّد والتحبّب الممزوجين بالثقة وفرط إحساسه بالأمان معه، فضلاً عن أنّ مدّ الصوت بالنداء بمقدار ست حركات شادّ لاهتمام الأب ومُظهر في ذات الآن حالةَ الذهول والاندهاش التي داهمت نفسيّة يوسف عليه السلام وعصفت بفكره. وتأسيساً عليه فثمة أفعال منجزة من خلال هذا النداء إن استنطقنا الخطاب في ضوء الموقف التواصليّ الذي تمخض عنه، وهي:

١.إنجاز فعْل التودُّد والتحبُّب، من خلال ندائه بأحبّ الأوصاف إلى قلب الأب ومن خلال أرقّ الصيغ فقد آثر (يا أبتِ) على (يا أبي أو أبتاه).

٢.إنجاز فعْل التوقير والتبجيل، وذلك من خلال إنزال الأب القريب منزلة البعيد، بياناً لرفعة منزلة الأبوة وسمو مكانته في نظر يوسف الأبن البارّ.

٣.إنجاز فعل الحثّ على جلب الانتباه من خلال مدّ الصوت بالنداء بمقدار ست حركات لوجود المدّ المنفصل.

٤.إنجاز فعل التخصيص: تخصيص الأب دون مَن سواه ليعبر الرؤيا.

٥.إنجاز فعل صبّ التركيز والاهتمام إلى محتوى ما وقع النداء لأجله.

٦.إنجاز فعْل الاندهاش والتعجّب من أمر الرؤيا.

٢. قوله تعالى: (قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ (٥)

ورد في طيّ الحوار الدائر بين يوسف وأبيه هذا الخطاب الندائيّ الذي جاء جواباً لخطاب يوسف، وجهّه يعقوب عليه السلام لابنه بعد أن قصّ عليه الرؤيا، والتعبير ب(يا بنيّ) يحمل أبعاداً دلاليّة وتداوليّة وتواصليّة، إذ أنجز به أفعالاً تعبيريّة وتوجيهيّة عدة ، منها:

١. فعل التنبيه وشدّ الانتباه أنّ ما يوصيه به أمر جلل ينبغي أن يقبل على الإنصات والإصغاء والانقياد للتوجيه الأبويّ (إيلاؤه الأهميّة العظمى من التركيز).

٢. فعْل التحذير الممزوج بالنصح والإرشاد وبيان حقائق مغروسة في الطبع البشريّ، منها: وجود الحسد والتآمر بسبب إيقاع الشيطان بين الإخوة.

٣. فعْل التودّد والتحبّب وإظهار العطف والحنان الأبويّ لابن صغير في السن، فقيد الأم، فيوسف هو أصغر أبنائه، وكان يعقوب دائماً يريد تعويضه عن حنان الأمّ بمضاعفة حنانه، والتعبير ب (يا بُنيّ) وتصغير الابن. وإيثاره على (يا ابني) مُظهر هذا التودد والتحبّب.

٤. فعْلُ استقطاب انتباه الابن لأهميّة ما سيخبره به بشأن الرؤيا.

٥. ثمة فعل إنجازيّ نستشفه من خلال التعبير ب(يا) وإيثارها على الهمزة التي هي للنداء القريب، وإنزال القريب منزلة البعيد ربما فيه تعظيم لشأن يوسف، فقد أدرك الأب وتأوّل الرؤيا أنّ ابنه سيتقلّد مكانة إيمانيّة رفيعة ويتسنّم منزلة النبوة، فخاطبه بهذا الخطاب الذي يلّوح ويبشّر بتلك المنزلة، فيناسبه التبجيل والتعظيم لمنزلة النبوة، أي نلمح فيه إنجازاً لفعل تعظيم نبيٍّ لنبيٍّ مستقبليّ واعد. فضلاً عن إظهار السرور الأبويّ بذلك، فالأب دائما يطمح ويحلم أن يكون أبنه أفضل منه.

٣. قوله تعالى: (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢)

نستشف من الخطاب الندائيّ الموجّه من إخوة يوسف إلى أبيهم وندائهم له بـ (يا أبانا) (تحريكاً لصلة القرابة بينه وبينهم وتذكيراً لرابطة الأخوة بينهم وبين يوسف ليسببوا بذلك إلى استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما أحسّ منهم أمارات الحسد والبغي) (عبدالله الأرمي،٢٠٠١، ، ج٣، ص: ٣٢٨)، فمن جملة الإنجازات الفعليّة والقوة المتضمنة في قول إخوة يوسف إنجاز فعل الترجيّ والتذكير، وإنجاز فعل التنزيه وتزكية النفس أيّ: إنجاز فعْل مباشر(**وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ**)الذي يجمع بين التقريريّات وبين الإفصاحيّات، وإنجاز فعْل اللوم (**مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ**)، إنجاز فعْل الاستعطاف واستمالة القلب من خلال التوقير والتبجيل الذي أظهروه لأبيه من خلال ندائهم له بـ (**يَا أَبَانَا**) وإنزال الأب منزلة البعيد يأتي للتعظيم والتوقير (نمط الأفعال السلوكيّة)، وإنجاز فعْل الاقتراح والإلحاح في الطلب (نمط الأفعال التوجيهيّة) وإظهار الحرص على مصلحة أخيهم الصغير.

ففي طيّ الخطاب الندائيّ وما يرد فيه من الطلب والإيضاح نلمح أفعالاً كلاميّة عديدة مباشرة، وأفعالاً كلاميّة غير مباشرة أي: غرضيّة متضمنة في خطابهم نستشفُّها من السياق، منها: إنجاز فعْل الوعد والتعهُّد من خلال التعهّد بحفظ يوسف– الذي ينتمي إلى صنف الوعديّات – ، ولكن وعودهم تنقصها النيّة الصادقة، أما الفعل التأثيريّ لخطابهم فيتجلّى في إقناعهم لأبيهم على الرغم من تخوّفه وتوجسّه الشديد منهم، والدليل أنّ الأب وافق على مقترحهم وأرسل معهم يوسف.

٤. قوله تعالى: (قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧).

مدّ الصوت بالنداء بـ (**يَا أَبَانَا**) أُنْجِزَ به فعل التفجُّع وإظهار مشاعر الحزن والأسى، فضلاً عمَّا تتضمنه من فعْل التضليل والتمويه والكذب من خلال التباكي.

أمَّا فيما يتعلق بالفعل التأثيريّ فإنهم أخفقوا في إنجازه وفي إقناع أبيهم بل ترك خطابهم فعْل عدم التصديق والاتهام بالتسويل من قبل الأب، مع الحزن الكبير.

٥. **قوله تعالى: (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩)**

في هذا الخطاب الندائيّ الصادر من وارد الماء للقافلة (يا بشرى) خرج عن نطاق دلالته الحرفيّة وفعْله الإنجازيّ الحرفيّ إلى فعلٍ إنجازيّ غير مباشر هو التعجُّب والانبهار بجمال هذا الغلام الملقى في غيابت الجبّ ، وكأنه يدعو البشرى للتعجب من هذه البشرى، وكأنّ البشارة التي هي بشارة لم تألف قط أمراً كهذا.

٦. **قوله تعالى: (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩)**

الأصل النمطي الافتراضي لهذا الخطاب الندائيّ الموجّه من عزيز مصر ليوسف في شكله هو (أَ يُوسفُ أو يا يوسفُ) غير أنّ ثمة إجراء انزياحيّ حاصل فيه من خلال حذف أداة النداء الموضوع لنداء القريب (أَ) الهمزة لينجز أفعالاً تعبيريّة، إذ أنه صادرٌ من عزيز مصر الذي أكرم مثوى يوسف واتخذه ربيباً، وإن استنطقنا الخطاب هذا في ضوء الموقف التواصليّ الذي احتضنه يُظهر لنا فرط تعلُّق عزيز مصر بربيبه يوسف، فهو إليه أقرب قريب، ويُظهر كذلك إنجاز فعْل كلاميّ غرضيّ آخر هو فعْل التصديق، تصديق يوسف وتأييده له، وكذلك أنجز به فعْل الاستعطاف كي لا يذكر لأحد أمر هذه الحادثة.

وثمة دقيقة ينبغي الالتفات إليها، هي أنه في خطابه لامرأته لم ينادها ولم يذكر اسمها بل التفت إليها بقوله: **(وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ)**، لأنه كان موجوعاً متألماً من فعلتها غاضباً، فهي قد أزالت صلة القرابة بإقدامها على الخيانة ومراودة فتاها وافترائها على إنسان بريء معروف بالعفة والنزاهة والطهر، أي أننا نلمح في خطابه لزوجه إنجاز فعْل إظهار الأسى والتوجُّع الممزوج بالإنكار إلى أقصى درجة، فمع أنه لم يعنفها إلا أنه أظهر تبرُّمه منها، ثم هو لم يغلظ بالخطاب، فقط وجّه إليها طلباً بالاستغفار والرجوع عن الخطأ ربّما كان يحسب أنّ ما فعلته امرأته مجرد نزوة عابرة أو زلّة ثم تثوب إلى رشدها.

ففي خطابه لامرأته نلمح إنجاز فعْلين كلاميين، أحدهما توجيهيّ طلبيّ، وآخرُ فعْل تصريحيّ **(إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ)**أي ينتمي إلى صنف التصريحيّات أو الإدلاءات عند سيرل، وفعْل القررات عند أوستين، فضلاً عن الشجب والتبرُّم البادِيين في خطابه لها، واللذان هما مظهران من مظاهر صنف الأفعال السلوكيّة عند أوستين ، وعلى وفق تصنيف أوستن هو فعْل إفصاحيّ بَوْحيّ تعبيريّ.

٧. قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣)

في هذا الخطاب الندائيّ الصادر من يوسف عليه السلام والموجّه إلى ربّه نلحظ أنّه أنجز به وبحذف أداة النداء – إن قدّرناها (همزة) أو (يا) – أفعالاً تعبيريّة مفصِحة عن حضور الله في وجدان يوسف عليه السلام وخَلَدِه، فالنداء بغير الأداة منبئ عن هذا القرب والدنو، وإن استنطقنا البنية الخطابيّة في ضوء سياق الموقف، فإنّ حذْف أداة النداء يسهم في تسريع وتيرة الخطاب الندائيّ وإزالة الفاصل بين القول والمقول ليُظهر الحالة النفسيّة المتأزِّمة لسيدنا يوسف وسرعة استغاثته بربّه وبيان شدّة لهفته وحثيث طلبه أن ينجيه من كيد النسوة اللاتي وقعن فرائس لنزواتهن التي أردت بهن إلى قاع الذلّ، فهنّ قد أطلقن العنان لرغباتهن الجسديّة ولا يتوقفن عن محاولة إغراء يوسف وإغوائه، وهو فارّ منهن إلى ربّه مستعصم به غير مبالٍ سوى بالنجاة منهن. وبذا فإنّ ما هو منجز في هذا الخطاب الندائيّ الدّعائيّ منتمٍ إلى صنف الأفعال التوجيهيّة الممزوجة والمشرَبة بصنف الأفعال الإفصاحيّة التعبيريّة.

والفعل التأثيريّ للخطاب الندائيّ الدعائيّ لسيدنا يوسف يتجلّى في ما ترتّب عليه، يكشف عنه المؤشرات السياقيّة وهو الاستجابة الفوريّة التي عهدها يوسف من ربّه ، فقد دخل السجن ونجّاه الله من مخطط النسوة وكيدهن بدليل **(فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)(٣٤)** ، واستجابة دعواته بوصفه نبيّاً على الدوام محقّقة.

٨. قوله تعالى: (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١)

في الحوار الدائر بين يوسف وصاحبيّ السجن، صرّحت السورة بخطابين ندائيّين ملفوظتين أداتهما

ثمة أفعال تأثيريّة إقناعيّة أنجزها يوسف بخطابه الموجّه إلى صاحبيه في السجن بجانب أفعال غرضيّة متضمنة في خطابه، تنتمي إلى صنفيّ الأفعال التوجيهيّة، منها: أفعال توجيهيّة موجبة تتمثل في الدعاء إلى عبادة الله وتوجيهيّة سالبة تتمثل في النهيّ عن اتخاذ غير الله لله شريكاً ، أنجزهما يوسف بأسلوب دعويّ غير مباشر، فهو قد استعان بالاستراتيجيّة التلميحيّة لدعوتهما إلى التوحيد فلم يطلب منهما الإيمان بالله ونبذ الشرك مباشرة وإنما من خلال بيان حقيقة الآلهة التي يعبدونها، وتجدر الإشارة إلى أنّ المرسِل عادة

يختار الاستراتيجيّة التلميحيّة لدواع سياقيّة تجعله يعدل عن الخطاب المباشر (الشهريّ،٢٠٠٤، ص:٣٧٠)، وتكمن الفعل التأثيري الإقناعيّ في هدايتهما وتصديق تأوليه وتحقق الرؤيا على نحو التأويل اليوسفيّ.

ونلحظ أنه على الرغم من القرب الجسدي والمكاني إلاَّ أنَّه أنزلهما منزلة البعيدين لأداء أفعال متضمّنة في الخطاب غير مصرّحة، منها: إنجاز فعْل الرجاء في إسلامهما، وإنجاز فعْلٍ غرضيٍّ بارز، هو فعْل الحثّ الذي ينتمي إلى صنف الأفعال التوجيهيّة، فمدُّ الصوت بالنداء الموضوع لنداء البعيد شادّ لانتباه السامعين وحاثّ لهما على الإنصات إلى محتوى خطابه الحامل حقائق ساقها يوسف على نحو حجاجيّ مقنِع في إشارة إلى أنّ الأمر الذي وقع النداء لأجله أمر جليل وخطْب عظيم ينبغي إيلاؤه العناية الكبرى لإدراك فحواه.

ينتمي خطاب يوسف(**قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ** (٤٠) إلى فصيلة الأفعال التي تدلّ على الحكميّات أو القرارات، على حد تعبير أوستين، وتندرج ضمن فصيلة الأفعال الإعلانيّة التصريحيّة المعلنة عن أمر في تصنيف سيرل. وبجانب نصّ الخطابين ودلالاتهما المتضمّن قوى وأفعال وإنجازاتهما الفعليّة نجد أنّ الخطاب الندائيّ الموجّه من يوسف إلى صاحبيّ السجن كان له فعل تأثيريّ عليهما، فقد اقتنعا بصدق دعوته وتأويله ، وهذا مالم يكشف عنه نص السورة ولكن يمكن استشفافه من المؤشرات السياقيّة.

وتجدر الإشارة إلى أننا نلمح في محاورة الصاحبين ليوسف خطاباً ندائيّاً مضمراً غائباً في سطح نصّ الحوار حاضراً باقتضاءاته وملازماته يكشف عنه السياق اللغوي ، وذلك في قولهما (قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) يمكن أن نقدَّر لهما الجملة الندائيّة : نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ –*يا يوسف* – إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) أو يا يوسف: نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦). ويمكن تقدير النداء على هذا النحو (أداة النداء والمنادى، لمجيء تركيب طلبيّ (نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ) تعقبها جملة تقريريّة توكيديّة (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ).

٩. قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) (٤٣)

هذا الخطاب الندائيّ مُوجّه من ملك مصر لمعبّري الرؤى بعد أنْ جمعهم وهو مشدوه مندهش من أمر هذه الرؤيا التي كان متأكداً من وجود تأويلٍ منطقي لها في الواقع وأنَّها ذات رسالة وتوجيهيّة.

فهذا الخطاب الندائيّ الممزوج بالأمر – الفعل التوجيهي المباشر– موجّه من ملك مصر إلى كبراء مؤولي الرؤى ومفسريها بأن يجدوا له تأويلاً، ونلحظ أنّ التعبير بـ (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ) يحمل أبعاداً دلاليّة عديدة، وذلك من خلال الجمع بين (يا) الموضوع لنداء البعيد و(أيّ) بما فيه من التدرُّج من الإبهام إلى الغموض، و(ها) التنبيه. فنداؤه لهم بـ (يا) مظهر

أنَّه أنزلهم منزلة البعيد على الرغم من الدنو والقرب المكانيّ، إمَّا لترفعه عنهم، وإمَّا لأعطاء أولئك المعبّرين منزلة رفيعة، ثمّ إنّ مدّ الصوت بالنداء واستطالة المدّ مُظهِرٌ حالة الذعر التي أصابت الملك جراء هذه الرؤيا، فضلاً عمّا يحمله مدّ الصوت بالنداء (يا أيها) من شدّ الانتباه والدعوة إلى الإصغاء لمحتوى ندائه والتنبيه على أهمّيّة التأويل الصحيح ، وممَّا يؤكِّد ذلك ها التنبيه. وبذلك فالخطاب ينجز أفعالاً توجيهيّة مباشرة مشرَبة بأفعال إفصاحيّة تعبيريّة غير مباشرة.

١٠. قوله تعالى: (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ...(٤٥)

الخطاب الندائيّ موجّه من ساقي الملك أحد صاحبيّ السجن الناجي الذي ادّكر بعد أمّة إلى يوسف ، إذ يناديه باسمه دون أداة النداء، نلمح في ذلك إنجاز فعل التودّد يحكم علاقة الألفة والمودة الذي كان يجمع يوسف بالآخرين وذلك مناسب لمقام كلام الأصحاب، وبعد ذلك يخاطبه بـ (أَيُّهَا الصِّدِيقُ) – وهو تعبير ينمّ عن تبجيل المنادى وتوقيره ومدحه والثناء عليه – واصفاً إيَّاه بالصديق لبيان أنّ الصفة الملازمة ليوسف هو الصدق، فقد كان مشهوراً بالصدق وتحديداً في تعبيره للرؤى. وبعد ذلك يتوجّه إليه بالفعل التوجيهي (أفتنا في سبع بقران....). فالفعل الكلاميّ المنجز للنداء، هو التودد الممزوج بالثناء والمدح مضافاً إلى فعْليْ التخصيص والتوجيه. ونلحظ أنّ خطاب ساقي الملك جامع بين قاعدتي التودُّد وقاعدة التأدُّب فضلاً عن قاعدة الوضوح التي تنصّ على حضور الوضوح والبيان في الخطاب (الشهريّ، ٢٠٠٤،ص:١٠٠– ١٠١)، هذا فيما يتعلق بالفعل الغرضيّ المنجَز، أمَّا الفعل التأثيري لهذا الخطاب، فهو منجَز أيضاً، يجليه السياق ويبينه من خلال استجابة يوسف له وتأويله للرؤيا (قالَ تَزرعون سبعاً سنين دَأباً ..... (٤٦).

١١. قوله تعالى: (فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ .... وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) .... قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥)

نلمح في الخطابين الندائيين الواردين في بنية حوار إخوة يوسف مع أبيهم إنجازاً لأفعال كلاميّة عديدة، فإجمالاً نلحظ إنجاز فِعْليْ التوقير والتبجيل لمنزلة الأب النبيّ فهم أبناء الأنبياء يدركون المنزلة الرفيعة التي يحظى بها الأنبياء، فمنزلة النبوة تقتضي التبجيل والتعظيم، وهذا ما يظهره إنزال القريب منزلة البعيد عبر إيثار (يا) على (أ) التي هي للنداء القريب ، وإنجاز أفعال توجيهيّة طلبيّة (فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ) ممزوجة بأفعال إفصاحيّة تعبيريّة ، فنتلمس فعْل الاستعطاف واستمالة الوجدان من خلال مدّ الصوت بالنداء وتذكير الأب بآصرة القرابة الجامعة بينهم وبين أبيهم والجامعة بينهم مع بعض من جهة الرجاء في أن يرسل معهم أخاهم بنيامين، وإنجاز أفعال التعهّد (الالتزاميّات) فقد تعهّدوا بحفظ أخيهم

مرّتين (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) في الخطاب الندائيّ الأول، وأعادوا في الخطاب الثاني التعهّد والضمان مرة أخرى من خلال قولهم (وَنَحْفَظُ أَخَانَا) وقد كانت نيّتهم صادقة هذه المرّة ، عكس المرّة الأولى حينما طلبوا من أبيهم إرسال يوسف معهم، أما الفعل التأثيريّ لخطابيهما الندائيّين فكان محققاً فقد أقنعوا أباهم بإرسال بنيامين معهم بعد أن تلمّس فيهم الصدق والنيّة الحسنة هذه المرة.

١٢. **قوله تعالى: (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** (٦٧) في هذا الخطاب الندائيّ الصادر من يعقوب لأبنائه – إخوة يوسف – نلمح إنجاز فعل توجيهيّ سلبيّ عبر النهي (**لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ**) وفعْل توجيهيّ آخر إيجابيّ من خلال الأمر الذي يفيد النصح والإرشاد (**وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ**)، أما الفعل التأثيري لخطابه الندائيّ فكان له إنجاز وتحقّق من خلال امتثال الأبناء وتنفيذهم لوصيته.

ونلمح أنّ النداء بـ(يا بَنيّ) وإيثارها على (يا أبنائي) وإيثار أداة النداء (يا)على (أ) المخصصة لنداء القريب يسهم في إنجاز فعل التنبيه وشدّ الانتباه إلى أهميّة محتوى ما يناديهم لأجله.

وثمة إشارة إيحائية مطمورة في طيّ هذا النداء الموضوع للبعيد، فعلى الرغم من دنوهم وقربهم المكاني، نجد الأب ينزلهم منزلة البعيد على خلاف الأصل، وذلك لوجود ثلمة وحاجز نفسي بينه وبينهم، بسبب فعلتهم الشنعية بأخيهم ، فالأب يعرف حقيقة أمرهم وما أضمروه ولم يسامحهم بعد،لأنهم لم يتوبوا ولم يكونوا صادقين صرحاء معه. ثم إنّ النداء ب (بَنيّ) المتحدة حروفه والملتصق بعضها ببعض دونما فاصل – بدلا من (أبنائي) الذي يوجد ثمّة فاصل في الكتابة لوجود الألف الفارقة فيه ، فيه إشارة من طرف خفيّ إلى أنّ الأب يسعى إلى تحقيق وحدتهم على الرغم من طلبه منهم عدم الدخول من باب واحد والإيصاء بالدخول من أبواب متفرقة.

١٣. **قوله تعالى: (وَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠)**

في هذا الخطاب الندائيّ الصادر من أحد فتيان يوسف عليه السلام (المؤذِّن) نلحظ أنّ الفعل الكلاميّ المنجَّز من خلال التعبير بـ (**أَيَّتُهَا الْعِيرُ**) هو فعل التخصيص الممزوج بالاتهام والتنبيه لحمل أصحاب القافلة على الالتفات والتوقّف ، والخطاب الندائيّ في مجمله أنجز فعلاً كلاميّاً غرضياً مباشراً، هو اتهام أهل العير بالسرقة ، وبذلك فإنّه ينتمي إلى صنف الأفعال الإعلانيّة التصريحيّة عند سيرل، ذلك الصنف الجامع بين صنفي الأفعال الحكميّة – القراريّة – والأفعال التنفيذيّة –الممارسيّة – عند أوستين. والفعل التأثيريّ لهذا الخطاب الندائيّ الذي أُشرب فيه فعْل النداء بفعل التخصيص بفعْل توجيه التهمة ، فإننا

نتلمسه في استجابة أصحاب القافلة قافلة إخوة يوسف وإقبالهم عليهم وتوجيه السؤال (فأقبلوا عليهم ماذا تفقدون)، أثار نداؤهم فعْل الإقبال والاستجابة للنداء والاستفسار عن الشيء المفقود والدفاع عن النفس وتزكيتها من خلال فعل القسم (تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنّا سارقين).

١٤. **قوله تعالى: (ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١)**

نلمح في بنية هذا الخطاب الندائيّ الصادر من أبناء يعقوب، صدور فعل تقريريّ إخباريّ مباشر وفعل سياقيّ غير مباشر، هو اتهام أخيهم بالسرقة كأنهم متأكّدون، لذا نجد أداة التوكيد (إنّ) ثم يخفّفون من حدّة لهجتهم **(وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١)** فقد أنجزوا بقولهم فعل التناقض، يؤكدون إلصاق التهمة بأخيهم وبعد ذلك يقولون: لم نكن شاهدين على ذلك، فضلا عن إفصاحهم عن فضاضتهم من خلال قولهم **(إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ)** وكأنهم يعيرون الأب بابنه السارق. وهنا نلمح افتقاد خطابهم إلى قاعدة التأدُّب مع المرسَل إليه، التي تنصُّ عل ضرورة احترامه فلا يذكر أمامه ما يحطّ من قدره أو يقلل من شأنه. (الشهريّ،٢٠٠٤، ص: ٣٧٠) وربما صدر منهم ذلك لا شعورياً وعن غير قصد.

١٥. **قوله تعالى: (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤)** في هذا الخطاب الندائيّ يخرج النداء (يَا أَسَفَا)عن طور النداء الحقيقيّ لمخاطبته ما لا يعقل ليؤدي وينجز فعْل التأسّف والتحسُّر وإظهار الحزن والأسى (التفريغ النفسيّ) المتضمّن في الوقت نفسه لوماً لأخوة يوسف، فقد قالها يعقوب عليه السلام مادّاً صوته بالنداء (يآ أَ) إذ تكتسب فيه الآلف طولا مستزاداً على طولها الطبيعي – إثر وجود المدّ المنفصل الذي يقتضي مدّ الصوت بمقدار أربع أو خمس حركات – ليعبّر عمّا في نفسه من الأسى والحزن العميقين وينفّس عنهما . وبذلك فإنّ ما أنجزه الخطاب من فِعل كلاميّ يمثّل الأفعال الإفصاحيّة التعبيريّة في أعلى درجاتها.

١٦. **قوله تعالى: (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)**

الخطاب موجّه من يعقوب لأبنائه حينما أحسّ منهم أمارات التندّم على ما فعلوه في سابق عهدهم والصدق في قولهم هذه المرة . والخطاب الندائيّ مُشرَب بالبشارة الضمنيّة من أنّ القيا قريب والفرج آت لا ريب، كما يصاحب هذا النداء المجلوب لأجل التوجيه والإرشاد إنجاز فعْل النهيّ عن اليأس من رَوح الله، فضلاً عما يتضمنه الخطاب من الدعوة – دعوتهم – بشكل ضمنيّ غير مباشر إلى التوبة عما فعلوه بيوسف.

١٧. قوله تعالى: (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨)

يتضمّن هذا الخطاب الندائيّ الموجّه من إخوة يوسف لأبيهم قوى فِعْليّة كثيرة، منها: إظهار الندم (التندّم)، والاعتذار والإقرار بالذنب والوقوع في الخطأ والرجاء في أن تنالهم مغفرة الله، فمدّ الصوت بالنداء في (يَا أَبَانَا) يبيّن حالة الندم الشديد والأسى على ما فعلوه فالإحساس بالذنب يكوي قلوبهم ويحرقها، ومما يعضّد حالةَ الانكسار هذه هيمنةُ المقاطع الصوتيّة المغلقة على العبارة، ذلك النمط من المقاطع التي تثير الإحساس بالانكسار كون هيمنتها محققة إيقاعاً ثقيلاً منكسراً، إذ إنّ انكسار الصائت إثر اصطدامه بالصامت الساكن وتَوالِي هذه العمليّة في النطق يولدان إيقاعاً شجيّاً، فالتوقفات المتتالية بسبب السكون تُظهر الضيق النفسي الذي يرزحون تحت وطأته بسبب إدراكهم شناعة فعلتهم.

وفي خطابهم هذا يبرز مفهوم تداوليّ يُسمّى بتأنيب الذات الذي يعدُّ وسيلة من خلالها يتضامن المرسلِ بتأنيب ذاته أمام المرسَل إليه (الشهريّ،٢٠٠٤، ص: ٣١٩)، وقد أسهم ذلك في ازياد وقع تأثير كلامهم على أبيهم، إذ كان لخطابهم الندائيّ فعْل تأثيريّ على الأب، فوعد بأن يستغفر لهم. وفي جواب يعقوب(سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي) ثمة فعْل غرضيّ هو الوعد بالاستغفار في زمن متراخ منجَز بواسطة (سوف)التي أوثرت على (س) لمقاصد وحاجات في نفس يعقوب.

١٨. قوله تعالى: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)

الأصل النمطي الافتراضي لهذا الخطاب الدعائيّ والندائيّ الصادر من يوسف عليه السلام قبل أن يسري عليه الانزياح الاختزالي القائم على الحذف (يا ربي قد آتيتني... يا فاطر السموات والأرض) إلا أنّ التعبير البيانيّ للسورة قد عمد إلى هذا الإجراء الأسلوبي من حذف أداة النداء في العبارتين فضلاً عن حذف ياء المتكلم في (ربّ) لمقاصد وإفادات هي عند التداولين إنجازات فِعليّة وغرضيّة لا قوليّة مطمورة في القول متضمنة فيها ، من أبرزها: أداء فعْل الشكر وإظهار شدّة الامتنان ، وبيان الحضور الدائم الأبدي لرقابة الله في قلب يوسف، وإدراكه أنّ الله كان معه بتأييده ونصرته في كلّ خطواته لم يتركه من رحمته هنيهة ، فكيف ينساه يوسف عليه السلام ولو للحظة. فالفعل التأثيريّ لهذا الخطاب الندائيّ الداعي المصحوب بالثناء لم تذكرها السورة ولكن المؤشرات جميعها تبيّن أنّه يكمن في رضا الله عنه وثنائه عليه وإدراجه ضمن العباد المحسنين الموعودين بالجزاء الإلهيّ، كما نوَّهت بذلك سورة البقرة (**وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** (٨٤). وتجدر الإشارة إلى أننا نلمح في الخطابين

الندائيّين الموجّهين من يوسف لربّه، اللذين كان أحدهما وهو في أوج المحنة وقمة الضعف وشدّة التأزُّم، والثاني وهو في منتهى الراحة والرضا وقمة القوة، ونجد أنّ يوسف عليه السلام في كلتا الحالتين – في لحظات الضعف ولحظات القوة – باق على اليقين والانقياد نفسيهما، أي إنّ الخطابين الندائيّين ينجزان من جملة ما ينجزانه من أفعال كلاميّة، فعْل إظهار شدّة تعلّق قلب يوسف بربِّه واستشعاره دوام الرقابة الإلهيّة، بيان أنه لا ينفكّ عن مناجاة ربِّه لا يكلّ ولا يملّ لعلمه بافتقاره وضعف حاله وغنى ربّه.

الاستنتاجات

بعد رحلة بحث وتقصٍّ شيّقة في رحاب حوارات سورة يوسف المباركة لرصد الأبعاد الدلاليّة للخطاب الندائيّ وإنجازاته الفعليّة المباشرة وغير المباشرة توصّلت الدراسة إلى طائفة من النتائج يمكن إيداعها مجملة في النقاط الآتية:

١. تضمّ نظريّة الأفعال الكلاميّة أنماطاً من الأفعال الكلاميّة المنجزة من أبرزها: صنف الأفعال التأكيديّة ، وصنف الأفعال التوجيهيّة، صنف الأفعال التصريحيّة، وصنف الأفعال التعهّديّة، وصنف الأفعال الإفصاحيّة، هذه الأصناف التي وردت في تصنيف سيرل المؤسِّس الثاني للنظريّة التي وصلت على يديه إلى مرحلة التنظير المنهجي المنظم.

٢. احتضنت سورة يوسف ثلاثة وعشرين خطاباً ندائيّا في طيّ الحوارات القصصيّة الدائرة بين شخصيّات قصة سيدنا يوسف في سورة يوسف.

٣. للخطاب الندائيّ فعْل كلامي حرفيّ ، وفعل كلاميّ غرضي وفعل كلامي تأثيري.

٤. يُنجز كلّ خطاب ندائيّ عدة أفعال كلاميّة، يمكن الاهتداء إليها من خلال الارتكان إلى سياق الخطاب بشقيه اللغوي والموقفيّ.

٥. تنجز الخطابات الندائيّة الواردة في السورة أفعالاً كلاميّة عديدّة، منها : فعْل التودّد والتحبُّب، الذي يتجلّى في الخطاب الندائيّ الموجّه من يوسف لأبيه، وفعْل الاستغاثة والدعاء كما في الخطابين الندائيّين الصادرين من يوسف والموجّهين إلى ربّه، وفعل التحسّر وإظهار الحزن والأسى كما في قول يعقوب عليه السلام، وفعْل إظهار السرور والبشارة كما في قول وارد القافلة، وفعل التوقير والتعظيم كما في الخطاب الندائي الموجّه من يوسف لأبيه، والخطاب الندائيّ الموجّه من أخوة يوسف لعزيز مصر، وفعل التخيصص والتنبيه كما في الخطاب الندائيّ الصادر من الملك والموجّه إلى مفسريّ الأحلام ، وفعل الاتهام كما في الخطاب الندائي الموجّه من مؤذن يوسف لأهل العير، وأفعال توجيهيّة صريحة وأخرى غير صريحة ضمنيّة يرشد إليها السياق.

٦. يتجلّى في الخطاب الندائيّ الصادر من يوسف لأبيه مبدأ التأدُّب الأقصى، وكذلك تنطوي خطابات إخوة يوسف لعزيز مصر على التأدُّب الأقصى، كما أنّ هذا المبدأ نجده مخروقاً في خطاب إخوة يوسف لأبيهم، وذلك في قولهم :(يا أبانا إنّ ابنك سرق وما شهدنا...).

٧. تتوافر جميع الأصناف الأفعال الكلاميّة (التوجيهيّة والتصريحيّة والإلزاميّة ، والتقريريّة والإفصاحيّة) في الخطابات الندائيّة الموجودة في السورة ، وقد لا يكتفي الخطاب الندائيّ الواحد بالانتماء إلى صنف واحد من هذه الأصناف فتأتي الأفعال المنجَزة متداخلة.

المصادر والمراجع:

١. أرمينكو ، فرانسواز ، ١٩٨٦م، ***المقاربة التداوليّة***، ترجمة: سعيد علوش، ،د.ط، مركز الإنماء القومي، الرباط.

٢. أوستين ، ١٩٩١م، ***أوستين نظريّة الأفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات***، ترجمة : عبدالقادر قينيني، ط١، مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

٣. بلانشيه، فيليب ، الحباشة ، صابر ،٢٠٠٧ م، ***التداوليّة من أوستن إلى غوفمان:*** ، ترجمة :صابر الحباشة ،ط١،دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا.

٤. بوجادي،،٢٠٠٩، خليفة، ***في اللسانيّات التداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربي القديم***،ط١،بيت الحكمة للتوزيع والنشر.

٥. بوخشة، خديجة ، د.ت، ***محاضرات في اللسانيّات التداوليّة***، أ.خديجة بوخشة، كتاب ألكتروني متاح في موقع مكتبة لسان العرب الألكتروني https\\lissanarab.blogspot.com

٦. الحميريّ، عبدالواسع ، ٢٠٠٩، **ما الخطاب وكيف نحلله**، ط١، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت.

٧. دايك ، فان ، ١٩٨١، ***النص والسياق*** ، ترجمة : عبدالقادر قينيني، أفريقيا الشرق، بيروت لبنان ، د.ط، أفريقيا الشرق ،الدار البيضاء ، المغرب.

٨. سورل ، جون،ر،٢٠١٥، ***الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة*** ، ترجمة: أمير غنيم، مراجعة : محمد الشيباني، ،ط١، منشورات دارسيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس.

٩. الشهريّ ، عبدالهادي بن ظافر، ٢٠٠٤م، استراتيجيّات الخطاب – مقاربة لغوية تداوليّة–، ط١ ،دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا.

١٠. صحراويّ ، مسعود ،٢٠١٥م، ***التداوليّة عند العلماء العرب –دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني*** ، ط١، دار الطليعة ، بيروت.

١١. الصرّاف، علي محمود حجي ،٢٠١٠م ، **في البراجماتيّة، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة** ،ط١،مكتبة الآداب للنشر، القاهرة.

١٢. عاكوب، عيس علي، و الشتيويّ، علي سعيد ،١٩٩٣،**الكافي في علوم البلاغة –المعاني البيان البديع** ، ط١ ،دار الهناء ، ليبيا.

١٣. عبدالرحمن، طه، ٢٠٠٦، ***اللسان والميزان أو التكوثر العقلـيّ*** ، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت.

١٤. عبدالله الأرمي، محمد الأمين،٢٠٠١ ، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، ، مراجعه د.هاشم محمد علي ابن حسين مهدي، ط١، دار المنهاج ، بيروت .

١٥. عكّاوي، إنعام فوّال، ١٩٩٦، **المعجم المفصل في علوم البلاغة – البديع والبيان والمعاني** ، مراجعة : أحمد شمس ، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦. الفيل، توفيق، ١٩٩١م ، ***بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني***: ط١، مكتبة الآداب ، القاهرة.

١٧. الفيود ، بسيوني عبدالفتاح ، ٢٠٠٤، **علم المعاني –دراسة بلاغيّة نقديّة لمسائل المعاني** ، ط٢،مؤسسة المختار للنشر، القاهرة.

١٨. قادر، فخرية غريب قادر، ٢٠١٦، **الانسجام في الخطاب القرآني دراسة نصيّة في السور الموسومة بالعتاق الأول**، ط١، ط١ ، دارالكتب الحديثة ، إربد

١٩. المتوكّل ، أحمد ، ١٩٨٥، **الوظائف التداوليّة في اللغة العربية** ، ط١، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء ، المغرب.

٢٠. المخزومي، مهدي ، ٢٠٠٥، **في النحو العربي نقد وتوجيه** ، ط١، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد.

٢١. مطلوب ، أحمد، ١٩٨٧م ، **معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها**،د.ت، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق.

٢٢. موشلر جاك و ريبول، آن ، ٢٠١٠م ، ***القاموس الموسوعي للتداوليّة:*** ، ترجمة مجموعة من الأساتذة، بإشراف: عزالدين مجدوب، من منشورات المركز الوطني للترجمة، ط٢، دار دراسات سيناترا، تونس.

٢٣. الميداني، عبدالرحمن ،١٩٩٦، **البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها** ، ط١، دار القلم ،دمشق.

٢٤. ميلاد ، خالد ، ٢٠٠١م ، **الإنشاء في العربيّة بين التركيب والدلالة – دراسة نحويّة تداوليّة** ، ط١، المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس.

٢٥. نحلة ، محمود أحمد ،٢٠٠٢م، ***آفاق جديدة في البحث اللغويّ*** المعاصر، ط١، دار المعرفة الجامعية ، مصر.

٢٦. هارون، عبدالسلام محمد، ٢٠٠١، **الأساليب الإنشائيّة في النحو العربيّ**: عبدالسلام محمد هارون، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٧. يول، جورج، ٢٠١٠، **التداوليّة** ، ترجمة : قصيّ العتابّ، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط.

الدوريّات والمجلات :

٢٨. مجلـة كليّـة الآداب والعلـوم الإنسـانيّة الاجتماعيّـة ، جامعـة محمـد خيضـر ،بسـكرة، صـلاح الدين، مـلاوي، ٢٠٠٩، نظريّـة الأفعـال الكلاميّـة فـي البلاغـة العربيّـة: مـلاوي صـلاح الـدين، العـدد: الرابع،

٢٩. مجلـة أبحـاث ميسـان، خلـف ، عبـد علـي صـبيح خلـف،٢٠١٢ ، النـداء دراسـة أسـلوبيّة : ، المجلد : التاسع، العدد: العاشر.

٣٠. مجلـة المخبـر، أبحـاث فـي اللغـة والأدب الجزائـريّ ،جامعـة بسـكرة ، الجزائـر، عبدالسـلام ، ياسمينة، ٢٠١٤، نظريّة الأفعال الكلاميّة في ظلّ جهود أوستين العدد: العاشر.

٣١. مجلـة دار العلـوم الإنسـانيّة والاجتماعيّـة، الكفوحـي، يوسـف ، ٢٠١٦، التلميح بالأفعـال اللغويّـة غير المباشرة في سورة المائدة، يوسف الكفوحي، المجلد ٤٣، الملحق:٤.

٣٢. مجلــة علامــات كليّــة الآداب ، الأكــادير، العربــي ، ربيعــة، ٢٠١٠، الحــدّ بــين الــنص والخطاب،ربيعـة العربـي، كليّـة الآداب – أكـادير – مجلـة علامـات: ٣٣ ، مجلـة متـوفرة علـى موقـع سعيد بنكراد: ورابطه: www.saidbengrad.net/

٣٣. مجلـة مؤمنـون بـلا حـدود للدراسـات والأبحـاث ، أخـدوش ، الحسـين، ٢٠١٦، نظريّـة أفعـال اللغـة لـدى الفيلسـوف أوسـتين أسسـها وحـدودها الفلسـفيّة، الحسـين أخـدوش، مؤمنـون بـلا حـدود للدراســات والأبحــاث، بحــث محكــم قســم الفلســفة والعلــوم الإنســانيّة،٢٠١٦م. www.mominoun.com

Sources and References:

1. Arminko, Françoise, 1986, Deliberative Approach, Translation: Said Alloush, D.T., National Development Center, Rabat.

2. Austin, 1991, Austin, Thetheory of General Speech Verbs, How to Accomplish Things with Words, Translation: Abdelkader Qinini, I1, East Africa Press, Casablanca.

3. Blanche, Philippe, Habasha, Saber, 2007, deliberative from Austin to Goffman: Translated by Saber Habasha, I1, Dialogue Publishing and Distribution House, Syria.

4. Bouhadi, 2009, Khalifa, in deliberative linguistics with an attempt to root out the old Arab lesson, i1, House of Wisdom for distribution and publishing.

5. Boukhsha, Khadija, D.T., Lectures in Deliberative Linguistics, A.Khadija Boukhsha, an e-book available on the Website of the Library of The Tongue of Arabs httpslissanarab.blogspot.com

6. Al-Hamri, Abdul-A'as'i, 2009, what the speech is and how we analyze it, i1, the glory of the University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut.

7. Dike,Van, 1981, text and context, translation: Abdelkader Qinini, East Africa, Beirut Lebanon, D.I., East Africa, Casablanca, Morocco.،

8. Sorrell, John, R,2015, Linguistic Work Research in Language Philosophy, Translation: Amir Ghoneim, Review: Mohamed Al-Shaibani, I1, Darcynatra Publications, National Translation Center, Tunisia.
9. Al-Shahri, Abdulhadi Bin Zafer, 2004, Al-Khattab Strategies - A Deliberativ
e Linguistic Approach, I1, United New Book House, Libya.
10. Sahraoui, Massoud, 2015, Deliberative by Arab Scholars - A Deliberative Study of the Phenomenon of Speech Verbs in The Linguistic Heritage, I1, Dar al-Tala'a, Beirut.
11. Al-Sarraf, Ali Mahmoud Haji, 2010, in Pragmatism, Achievement Sins in Contemporary Arabic, I1, Library of Literature Publishing, Cairo.
12. Akub, Ayes Ali, Al-Shtiwi, Ali Saeed, 1993, Kafi in The Sciences of Rhetoric - Meanings, Wonderful Statement, I1, Dar al-Hana, Libya.
13. Abdul Rahman, Taha, 2006, Tongue and Balance or Mental Tension, I2, Arab Cultural Center, Beirut.
14. Abdullah al-Armi, Mohammed al-Amin, 2001, Interpretation of the Gardens of the Soul and Basil in Rawabi of The Qur'anic Sciences, reviewed by Dr. Hashim Mohammed Ali Ibn Hussein Mahdi, I1, Dar al-Mas'id, Beirut.
15. Akkawi, Inam Fawal, 1996, The Detailed Dictionary in The Sciences of Rhetoric - Al-Badi, Al-Badi, Al-Bayan and Meanings, Review: Ahmed Shams, T2, Scientific Books House, Beirut.
16. The Elephant, Tawfiq, 1991, Eloquence compositions study in the science of meanings: i1, Library of Literature, Cairo.
17. Al-Fayoud, Bassiouni Abdel Fattah, 2004, Meaning Science - Critical Rhetorical Study of Meaning Issues, I2, Al-Mukhtar Publishing Foundation, Cairo.
18. Kader, Fakhria Gharib Kader, 2016, Harmony in Qur'anic Discourse A TextUal Study in The Wall Tagged with The First Ataq, I1, I1, Modern Book House, Irbid
19. The Client, Ahmed, 1985, Deliberative Posts in Arabic, I1, Culture Publishing House, Casablanca, Morocco.
20. Al-Makhzoumi, Mahdi, 2005, in Arabic Grammar Criticism and Guidance, I1, Public Cultural Affairs House, Baghdad.
21. Wanted, Ahmed, 1987, Dictionary of Rhetorical Terms and Its Development, D.T., Iraqi Scientific Society Press, Iraq.
22. Mosler Jacques and Ripoll, Anne, 2010, Encyclopedic Dictionary of Circulation: Translated by a group of professors, under the supervision of: Ezzedine Majdoub, Publications of the National Translation Center, I2, Sinatra Studies House, Tunisia.
23. Al-Midi, Abdul Rahman, 1996, Arabic rhetoric founded by its sciences and arts, I1, Dar al-Qalam, Damascus.
24. Milad, Khaled, 2001, Construction in Arabic between Composition and Significance - A Study of A Deliberative Grammatical Study, I1, Arab Distribution Corporation, Tunisia.
25. Nahla, Mahmoud Ahmed, 2002, New Horizons in Contemporary Linguistic Research, I1, University Knowledge House, Egypt.

26. Haroun, Abdessalam Mohammed, 2001, Construction Methods in Arabic Grammar: Abdessalam Mohamed Haroun, I1, Al-Khanji Library, Cairo.
37. Yul, George, 2010, Deliberative, Translation: Qusay Al-Attab, I1, Arab House of Science Publishers, Rabat.

Periodicals andMagazine

28.Journal of the Faculty of Arts and Social Humanities, Mohammed Khedir University, Biskra, Saladin, Malawi, 2009, The Theory of Speech in Arabic Rhetoric: Malawi Saladin, Issue: 4th ،
29. Maysan Research Journal, Khalaf, Abdul Ali Sobeih Khalaf, 2012, Call a Stylistic Study: Volume: 9, Issue: X.
30.Detective Magazine, Research in Algerian Language and Literature, University of Biskra, Algeria, Abdeslam, Yasmina, 2014, The Theory of Speech Verbs under Austin's Efforts Issue: X.
31. Dar al-Kufweh, Al-Kukuhi, Youssef, 2016, hint of indirect linguistic verbs in Surat al-Table, Youssef al-Kukuhi, Volume 43, Appendix 4.
32. Journal of The Faculty of Arts, Acadair, Arabic, Rabia, 2010, The Limit between Text and Speech, Rabia Al Arabi, Faculty of Arts - Agadir - Magazine Marks: 33, Magazine available on Said Bankrad website: Link: www.saidbengrad.net /
33. Believers Without Borders Journal of Studies and Research, Adhad, Al Hussein, 2016, The Theory of The Actions of Language by The Philosopher Austin Founded and Its Philosophical Boundaries, Hussein Ahad, Believers Without Borders for Studies and Research, Research By The Department of Philosophy and Humanities, 2016. www.mominoun.com

The Semantic Dimensions of Appeal Discourse in Surat - A Study in the Light of the Speech acts Theory

Fakhrya Ghareeb Qadir
Lacturer at Arabic Department / College of Language / Salahaddin University/Erbil

Abstract:

This study, entitled (The Semantic Dimensions of Appeal Discourse in Surat Yusuf in the Holy Qur'an - A Study in the Light of the Speech acts Theory) aims to uncover the semantic dimensions of the Qur'anic discourse in Surat Yusuf in the Holy Qur'an and monitor its intentions, and to shed light on its direct indications and indirect implications according to The theory of Speech Acts Theory, and the study is composed of three axes as follows:

The first axis: the concept of Speech Acts in the Pragmatic lesson

The second axis: the appeal of its appeal, its pillars, achievements and actual forces

The third axis: The Appeal of the Appeal in Surat Yusuf, its implications and actual achievements

The study ends its journey with a conclusions and a list of the books and references used in writing.

Keyword words: Surat Yusuf, significance, verbal actions.